استعارة "الحرب" في الخطاب الرئاسي حول (كوفيد 19) -مقاربة عرفانية-

The "war" metaphor in the presidential speech on (Covid 19) -cognitive approach-

طالبة دكتوراه/ روضة جديوي
الدكتور. عبد السلام شقروش

قسم اللغة العربية وآدابها -جامعة باجي مختار – عنابة- (الجزائر)

(فرقة معجم تحليلي لمصطلحات اللسانيات العرفانية)

linguisticaarabica20@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2020/11/30 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

تتنزّل هذه الدراسة ضمن أهم ما يستقطبه مجال اللسانيات العرفانية من دراسة وتحليل، وهي تندرج في إطار "**نزول المعرفة إلى الوقائع المباشرة**" قصد تحليلها واستجلاء معانيها والسعي إلى جعل هذه المعرفة أداةً لفهم أعمق لهذه الوقائع.

وإذْ تعدّ الاستعارة من أهم مباحث اللسانيات العرفانية باعتبارها وسيلة نُمَقْوِل بواسطتها الموضوعات والأوضاع،فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أنّ كثيرا من كلامنا استعارات لا نكاد نلاحظ جانبها الاستعاري .ولمّا كان الأمر كذلك سنختار نماذج من الخطاب السياسي للسيد عبد المجيد تبون وذلك لمحاولة رصد وتتبع فاعلية الاستعارات الواردة فيه على طريقة جورج لايكوف ومارك جونسون في تحليل النسق التصوري للاستعارة.

الكلمات المفتاحية: العرفانية؛الاستعارة التصورية؛التناظرات الأنطولوجية؛النسق التصوري.

Abstract:

This article explores one of the most important topics in cognitive linguistics. It is part of **"the descent of knowledge to direct facts"**, in order to analyze and clarify their meanings and endeavor to make this knowledge a tool for a deeper understanding of these facts.

Metaphor being one of the most important subjects of cognitive linguistics, as a means of saying subjects and situations, we are not surprised if we find that many of our words are metaphors, we can hardly notice their metaphorical aspect. And if this is the case, we have selected examples from the political discourse of Mr. Abdelmadjid Tebboune, to try to detect and follow the effectiveness of the metaphors it contains according to the method of which George Lakoff and Mark Johnson analyzed the model conceptual metaphor.

key words: cognitive; conceptual metaphor; Ontological Correspondences; conceptual system **.**

مقدّمة:

فتحت اللسانيات العرفانية منافذ جديدة لمقاربة الخطاب السياسي من خلال اهتمام العرفانيين بالاستعارة التصورية المتحكّمة في بنائه والنّاظمة لتصوّرات صاحبه باعتبار أنّ مركزية الاستعارة في النظرية الدلالية منبثقة من مركزيتها في إدراك المعنى وبنينة الأنساق في الذهن البشري ، وهي أيضا آلية لا غنى لمحلِّل الخطاب السياسي عنها لفهم الخطابات وسبر معانيها و استجلاء أبعادها الدلالية وخلفياتها الإيديولوجية .ولمّا كان الأمر كذلك سنختار نماذجا من الخطاب السياسي للسّيد عبد المجيد تبّون ،وذلك لمحاولة رصد وتتبع فاعليّة الاستعارات الواردة فيه .

تبرز اشكالية هذا البحث بشكل أساسي في السؤالين التاليين : ما هي أهمّ المقاصد التي أطّرت تفكير الرئيس عبد المجيد تبّون المتجليّة في التعابير الاستعارية الواردة في خطابه الموجّه للأمّة ؟ وما هي فاعليّة هذه الاستعارات ومدى تأثيرها في المتلقّي؟

للإجابة على هذين السؤالين وعلى غيرهما من الأسئلة التي قد تفرضها طبيعة الدراسة، عمدنا إلى تقسيم البحث إلى قسمين: قسم نظري لعرض منطلقات تلك الأفكار الجديدة والثورية حول ظاهرة الاستعارة ، وتحديد الإطار العام والخاص لانبثاقها، من خلال: عرض مفصّل – نسبيا - لنظرية الاستعارة التصوّرية.أمّا في القسم الإجرائي لهذا البحث فقد سعينا إلى مقاربة الخطاب الرئاسي ونَمْذَجَتِهِ عرفانياً و الوقوف على فاعليّة الاستعارات من خلال تأثيرها في طريقة تفكير المتلقي و في سلوكياته أيضا، ومساهمتها في تغيير واقعه . وقد وقع اختيارنا - لتحليله –على نظرية **الاستعارة التصوّرية** : لجورج لايكوف ، ومارك جونسون.

I-الإطار المفاهيمي للدراسة:

I -1- اللسانيات العرفانية Linguistique cognitive

ليست اللسانيات العرفانية نظرية منفردة في اللغة، بل هي نظريات تشتمل على مجموعة من الدراسات التي تَعتَبِر اللغة ملكة ذهنية وعرفانية وأداةً لإنتاج المعرفة والتصرّف . وتعتبر "مجالاً معرفيًا متعدّداً (interdisciplinaire) في ارتباطها بالعلوم العرفانية الأخرى، ومجالاً تحليليًا لتمثيل (représentation)وإدراك (perception) المعرفة (connaissance) اللغوية "[1] تُعنَى اللسانيات العرفانية بالعلاقة بين الذهن والخبرة التي يكتسبها الإنسان من "العالم الفيزيائي- الاجتماعي (socio-physical)"[2] بمعنى أنّ اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالخبرة الإنسانية الناتجة عن التجربة و المسؤولة عن الكيفية التي ندرك بها العالم من حولنا، وكيفية صياغة مفاهيمنا المختلفة ، فلا مجال هنا للقول باستقلالية النظام اللغوي؛لأنّ المعرفة اللغوية – كما يراها أصحاب هذا الاتّجاه – جزء لايتجزّء من الإدراك العقلي الذي لا يميّز بين المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية، والسمعية، والبصرية للوصول إلى المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي و ما هو غير لغوي. بذلك تجيب اللسانيات العرفانيّة عن ذلك السؤال العامّ الذي طرحته النظرية العرفانية وهو وما هو الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم فيما به يفكّرون؟"[3]

I -2-نظرية الاستعارة التصوريةmétaphore conceptuelle:

من أهم المباحث التي استأثرت بالدرس اللساني العرفاني مبحث **الاستعارة** . وأوّل من أبدى اهتمامه بالبعد العرفاني للاستعارة هما جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما المشترك"الاستعارات التي نحيا بها ". فكيف كان تصورهما للاستعارة؟ وما هي امتدادات نظرية الاستعارة ودعائمها النظرية التي شيدت عليها ؟

I -2-1- استعارية النسق التصوري

تبنّى **جورج لايكوف J.Lackoff ومارك جونسون M. Johnson** مفاهيما – خلافًا **للمنظور الأرسطي**- تكون الاستعارة فيها ملازمة لحياتنا اليومية، فلا مجال إذن للحديث عن لغة انزياحيّة في إطار هذا التصوّر، وإنّما العادة هي الاستعارة لا غيرها ، لأنّ عقولنا تتحرك وفق أُطُر استعارية بطريقة غير واعية. تُسيّرنا الاستعارات في فهم الكثير من الوقائع

إن لم تكن كلّها، وحين نبدأ بالوعي حول هذه الاستعارات نستطيع أن نحلّلها ثم نحدِث التّغيير فيها ومن ثَمّ التغيير في العالم . والجدول الموالي يوضّح أهم دعائم المنظور العرفاني للاستعارة نظيرًا للمنظور الأرسطي:

المنظور الأرسطي للاستعارة	المنظور العرفاني للاستعارة
- الاستعارة ظاهرة لفظية. - تقوم على مبدأ المشابهة. - ترتبط باللغة الشعرية والبلاغية والتجميلية. - اللغة الاستعارية منزاحة.	- الاستعارة ظاهرة فكرية. - تقوم على مبد التناظر والربط بين المجالات التصوّرية. -ترتبط باللغة اليومية العادية، واللغة الإبداعية أيضا. - اللغة الاستعارية ليست منزاحة.

وإذْ شيّد الباحثان صرح نظرية الاستعارة التصوّرية على أنقاض المنظور الاستبدالي لأرسطو، فقد اسْتَلْهَمَا بعدها العرفاني من خلال بعض الأفكار والطّروحات، نذكر من أهمّها[4]: نظريّة القيد المعرفي cognitive constraint التي اقترحها **راي جاكندوف R.Jackendoff (1983)** ، ونظريّة دلالة الأطر semantics Frame التي وضع أسسها ودافع عنها **فيلمور.Filmore (1985)** ،ونظريّة الفضاءات الذهنية التي قدمها **جيل فوكونيFauconnier(1985)**[5]

وقد توصّل الباحثان إلى أنّ الاستعارة التصورية تعتمد على تجارب الإنسان الحياتيّة وتفاعله مع الأشياء المحيطة به في عالمه وملامسته لها وما ينتج عن هذا التفاعل من إسقاط للمحسوس على المجرد؛ فنفهم المجرّدات انطلاقا من خصائص الأشياء الماديّة. مثال ذلك : تجربتنا بالحركة من مكان إلى آخر تمكّننا من فهم تجربة الحياة ذاتها باعتبارها حركة ؛ حيث يشكّل الميلاد نقطة الانطلاق وتشكّل طريقة حياة الإنسان مسيرةً وطريقًا ، ويعتبر الموت هو خاتمة هذه الرحلة[6].وعليه فإنّ نسقنا التصوري **مُبَنيَن** ومحدّد استعاريّا . والاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأنّ هناك استعارات في النّسق التصوري لكل منّا[7].

I -2-2- الطبقات الكبرى للاستعارة عند لايكوف وجونسون

يمكن القول بأنّ مفهوم البنية التصوّريّة قد هيمن على دراسة لايكوف وجونسون فحصراها في الاستعارات العرفانية ، وذلك يبدو جليّا من خلال التقسيمات التي قدّماها، والتي تقوم على بَنْيَنَة مجال هدف استنادً إلى بِنية مجال مصدر ، حيث يحدّد الباحثان في "الاستعارات التي نحيا بها" ثلاثة أنواع من البَنْيَنَة :

أ\بنينة نسق تصوّري استنادا إلى نسق تصوّري آخر، مثل بنينتنا لنسق الجدال بواسطة نسق الحرب في الاستعارة "الجدال حرب" ويطلق الباحثان على هذا الضّرب مصطلح **الاستعارة البنوية**.

ب\ بنينة بعض الأنساق اعتمادًا على تجربتنا الفضائيّة باعتبارنا كائنات تحدّدنا اتّجاهات : كالأعلى والأسفل واليمين واليسار والمركز والهامش..... وهكذا تعلّمنا تجربتنا- مثلاً- بأنّ الأشياء الإيجابيّة تكون فوق ، والسّلبية تحت، وعليه فإنّنا نُبَنين السّعادة استنادًا إلى تجربة العُلا ، ونُبَنْيِن الشّقاء استنادًا إلى تجربة الدُّنُو، لنحصل على استعارة السعادة(فوق \ الشقاء تحت) ،ويطلق الباحثان على هذا الضّرب **الاستعارة الاتّجاهية.**

ج\ بنينة الأنساق المجرّدة اعتمادًا على بِنية الأنساق الفيزيائية ، كما الحال في استعارة(الحب رحلة)،ويطلق الباحثان على هذا الضّرب مصطلح **الاستعارة 'لأنطولوجية**[8]

II - تحليل النماذج الاستعارية:

تنطلق هذه الدراسة التطبيقية من فرضية أساسية مفادها: رد منابع الاستعارة التصورية الكبرى التي تُبَنْيِنُ خطاب الرئيس محلّ الدراسة إلى مجال "الحرب"، لنحصل على استعارة الحرب وهي إحدى الاستعارات البنيوية التي يفعلها نسقنا التصوري كلّما تعلّق الأمر بـ «المشكلات الخطيرة والعصيبة، والمبادرات والاستراتيجيات التي يتمّ تطويرها لحلّ هذه المشكلات»[9].

وتقوم هذه الاستعارة على جملة عناصر أساسية تنبني منها هي: وجود خصمين، وهجوم، ودفاع، ومناورة، وتحالف.... إلى غير ذلك من العناصر الأخرى المكوِّنة لبنية الحرب. وما يدعم هذه الفرضية هو موضوع الخطاب الرئاسي الذي تمحوَرَ حول جائحة فايروس كوفيد- 19

المستجد، الذي صُوِّرَ لنا استعارياً على أنه خصم عنيد يهاجم دولتنا، وهنا يحضر نسق الدولة باعتبارها شخصًا مدافعًا ضد نسق الفايروس باعتباره كيانًا مهاجمًا.

وهذا ما يدفعنا إلى اعتبار استعارة التشخيص هي الاستعارة الممتدّة extended metaphor[10] التي تهيمن على أغلب تعبيرات الخطاب الرئاسي محلّ الدراسة، على اعتبار أنها تبنين تصوّر الخصمين المتحاربين (الدولة والفايروس) في إطار استعارة "الحرب" الكبرى التي تُبَنْيِنُ الخطاب بأسره. وسنتبيّن كيفيّة تمظهر هذه الحرب في الّتعبيرات الاستعارية المكوِّنة لخطاب رئيس الجمهورية الموجَّه للأمّة الجزائرية إبّان تفشي وباء كوفيد – 19.

1- التحليل بالاستعارات الكبرى عند لايكوف وجونسون

1-1- الاستعارة الأنطولوجية:

نسق الدولة بوصفها شخصًا+ نسق الوباء شخص عدو:

عندما يتحدّث الرئيس عبد المجيد تبون فإنّه غالبًا ما يُغَيِّب شخصيّته ليتحدّث باسم الدولة ، وهو بذلك يدعو ضمنيًا إلى عدم تقديس الأشخاص مثلما دعا إلى ذلك صراحة في غير موضع[11].وتشخيص الدّولة يجعلها تتميّز بجانب هام من لوازم ومقتضيات الإنسان؛ حين يتمّ إسقاط جانب كبير من مميّزات الإنسان على الدولة، فيتشكّل لنا نوع من الاستعارات، ينظر إلى الدولة بوصفها شخصًا اجتماعياً، يُحِبُّ ويُحَب، شخص قويّ، واعي، يملك أُذُنًا صاغيّة لتطلّعات رعاياه ، منشغل بهمومهم ، حريص على احترام الحريّات والحقوق ، مسؤول عن حماية الأشخاص والممتلكات. شخص تربطه علاقات مع المجتمع الدولي، منزل هذا الشخص هو الرقعة الإقليمية، كما أنه يعيش في إطار جِوار، له مواقف والتزامات مع جيرانه وأصدقائه، وأعدائه،قد يكون مُسالِمًا في حال السلم،أو عدوانيًا إذا ما شعر بخطر يداهمه، فيتّخذ إجراءات احترازيّة تُمَكّنه من مجابهة أي تهديد أو التّصدي له وردّه.تظهر الاستعارتين من خلال الأبنية الآتية[12]:

-«...تمرّ الجزائر بلدنا الحبيب بمحنة أخرى يحملها وباء فيروس كورونا المستجدّ العالمي الآخذ في التّفشي...»

- «...لقد اتّخذت الدولة الجزائرية.... إجراءات استعجاليّة احترازيّة للتّصدي له بكل فعالية..»

- «...إنّ هذا التحرّك المبكر ساعد على الكشف على رعية أجنبية قادمة من أوربا مصابة بهذا الوباء»

- «..إنّ الدولة قويّة واعية بحساسيّة الظّرف..»

- «..اعتبار الوباء المتفشي مسالة أمن وطني..»

- «..مهما جنّدت [الدولة] من الوسائل والطاقات فلن تستطيع وحدها القضاء على هذا الوباء العالمي ..»

- «إنّ الوباء مصدر قلق لنا جميعا»

- «كلّ أجهزة الدولة في حالة يقظة قصوى واستنفار عالي لمواجهة أيطارئ»

-« ..المساعدة على مكافحة الوباء و الحدّ من انتشاره ..»

-«..ورعاية المصابين حتى يتعافون ويعودون سالمين إلى ذويهم..»

- «إن شعبنا العظيم هو شعب التحدّيات، شعب لا يبخل بأيّ شيء للوطن»

-«سنخرج ... بحول الله منتصرين في هذه المحنة كما انتصرنا في السابق في الجهاد الأصغر..»

التناظرات الأنطولوجية: تختلف الاستعارات التصوّرية باختلاف أعداد المجالات ؛ حيث ينشأ أوّلا نوعان من التناظرات بين المجال المصدر والمجال الهدف وهي تناظرات أنطولوجية بين العناصر المكوّنة لمجال ما وعناصر مجال آخر[13].

المجال المصدر: الشخص والعدو	المجال الهدف: الدولة والوباء
+الشخص	+الدولة
+إنسان اجتماعي	+لها رقعة إقليمية وسكان وجيران
+تربطه علاقات طيبة بأفراد مجتمعه	+ترتبط بعلاقات جوار وتبادل مع بقية الدول
+يتعرض إلى خطر يهدد حياته	+تتعرض إلى خطر خارجي يهدد أمنها واستقرارها
+العدو شخص عاقل	+عدو غير عاقل (فيروس كورونا المستجد)
+ العدو يتعاظم وتزداد خطورته	+فيروس خطير وقاتل سريع التفشي
+حماية النفس	+حالة طوارئ

+مباغتة العدو	+إجراءات احترازية

- التناظرات الإبستيمية

المجال المصدر	المجال الهدف
إنسان مسالم يعيش في سلام وتناغم مع أفراد مجتمعه.	تبني الدولة أمنها وسلامها من خلال الانخراط في علاقات مع المجتمع الدولي.
كونه مسالمًا لا يمنع من وجود أعداء يتربصون به.	الدولة المسالمة قد تتعرض لعداء خارجي يهدّد أمنها.
العدو غير عاقل لا ينفع معه الحوار ولا محاججة.	العدو خطير لا ذمّة له ولا مبادئ.
طبيعة العدو تستلزم اتخاذ الحيطة والحذر للتحرّز من هجمته المباغتة.	التصدّي للعدو بإعلان حالة الطوارئ والقيام بإجراءات استباقية.

- قوة الإقناع والتأثير:

هناك منطق ضمني في استعمال استعارة " الدولة شخص " من طرف رئيس الجمهورية. فما دامت مصلحة المواطن الجزائري تكمن في كونه قويا معافى في جسده، فإنّ الدولة القوية تسعى إلى ضمان حد أقصى من الحماية من الوباء، وحد أقصى من الرعاية الصحّية في حالة الإصابة بالمرض.

أمّا قوة الإقناع فتختفي خلف استعارة "**الأمن والاحتواء**" وهي من أقوى الاستعارات التي تم توظيفها في الخطاب الرئاسي مُمَثّلَةً في التعابير التالية:«..إنّ الدولة قوية واعية بحساسية الظرف..»«..اعتبار الوباء المتفشي مسالة امن وطني.. »«كل أجهزة الدولة في حالة يقظة قصوى واستنفار عالي لمواجهة أي طارئ».

- مقبوليّة الاستعارة:

إنّ هذه الأنماط اللغوية ليست بجديدة على ذهنيّة المواطن الجزائري ، بل جاءت موافقة لخلفيّاته الفكريّة وما تحمله ذاكرته من مدلولات سابقة، إذ تختزن ذاكرته تصوّرًا استعاريا

للدولة الجزائرية - تجاه مواطنيها في الأزمات (طبيعية كانت أو أمنية) – في شكل"**البطل النبيل**" الذي لا يتوانى في الذّود عن الحياض، وإنقاذ الضحايا وهزم الأشرار، ثمّ إنّه يقوم بهذا العمل لدواعٍ أخلاقية من باب إحساسه بالمسؤولية،ولا يرجو من وراء ذلك مقابلاً أو تعويضًا –مادياً كان أو معنوياً-

2-1- الاستعارة البنوية

تتأسّس الاستعارات البنوية على ترابطات نسقيّة داخل تجربتنا،حيث تسمح بإقامة تصوّر لمجال عقلي بالاستعانة بشيء نفهمه بسهولة نابع من تجربتنا الفيزيائية[14]. وهذه النسقية الاستعارية تُبنى على **الإخفاء والإظهار**؛ بمعنى أن قيامنا بالقبض على مظهر من مظاهر تصوّر ما من خلال تصور آخر يجعلنا نُغفِل مظهرًا، أو مظاهرَ أخرى لا تتلاءم مع تلك الاستعارة.وهو ما أطلق عليه لايكوف **بالتّبئير**..« إذ يمكن لتصوّر استعاري معيّن –بإتاحته تبئير مظهر واحد لتصوّر معيّن[....]- أن يمنعنا من تبئير مظاهر أخرى في هذا التصوّر»[15]

ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال استعارة "**الدولة شخص يواجه عدوا**" ممثّلة في الأبنية :-«**لقد اتّخذت الدولة الجزائرية ... إجراءات استعجالية احترازيّة للتصدي له**»- «**ظهور هذا الوباء في القارّة الآسيوية** »-«**كنّا نتابع تفشّي هذا الوباء أوّلا بأوّل منذ أن كان بعيدًا عن حدودنا بآلاف الكيلومترات**».

المجال المصدر(شخص عدوّ محارِب)	**المجال الهدف (فايروس كوفيد-19 المستجدّ)**	
	إتاحة التبئير	**منع التبئير**
- خطير سفّاح قاتل. -عنيد لا يهدأ له بال ولا يقرّ له قرار حتى يغزونا ويهدّدنا. - يستحوذ على أسلحة فتّاكة غير مُتاحة لغريمه. - لا يمكن التصدّي له إلا عن طريق شنّ حملات	- فيروس فتّاك قاتل. - مُسْتَجَدّ، يطوّر نفسه تلقائيا، بالإضافة إلى مقاومته لكلّ الظروف وتأقلمه معها. - عدم وجود مضادّ حيوي لحدّ الساعة.	- وجود عدوّ مقاتل يعني بالضرورة وجود ساحة حرب .و ساحة الحرب في المجال الهدف هي العالم بأسره. - قد يلجأ الأعداء المتقاتلون إلى التّحالف مع غيرهم لتقويّة شوكتهم . والتّحالف الذي نجده في المجال الهدف هو تبادل

استباقية احترازية. - عدوّ من خارج حدود الوطن. - ذو سرعة فائقة في الانتقال بين الضحايا .	- لا يمكن التّصدّي له إلا عن طريق إجراءات وقائية احترازية للحدّ من انتشاره . - فيروس قادم من القارة الآسيوية. - وباء سريع الانتشار والتفشي بين الضحايا.	المساعدات الطبية والوقائية خاصّة مع دولة الصّين. -قد يُباغِت العدوّ ضحاياها على حين غِـرَّة، تمامًا مثلما فعل الفيروس بالكثير من الأشخاص الذين لم يكترثوا لخطورة الوضع،فتهاونوا في أخذ الحيطة والاحتراز منه بالوقاية المتمثّلة في تعهّد النظافة الشخصية والتعقيم المستمر للبدن ،وللمكان ، والمقتنيات، بالإضافة إلى احترام مسافة التباعد الاجتماعي، وارتداء الكمّامة .والأهمّ من ذلك كلّه هو التزام الحجر الصحّي في البيوت .

-قوّة الإقناع والتأثير:

تمّ التعامل في هذه الاستعارة مع وباء كورونا من وجهة عدائية، باعتباره عدوًّا خطيرا يهدّد صحّتَنا وحياتَنا ، وهذا العدوّ لا يهدأ له بال ولا يقِرّ له قرار حتى يضربنا، ويغزونا، ويهدّدنا، فيتشكّل التصوّر الاستعاري في هذه البنيات فيما يمكن أن نسميه باستعارة "الخوف": إذ تبدو البنيات أعلاه مسكونة بالفاجعة المقبلة للشعب، والنهايّة الموسومة بالاندثار، انطلاقا من فاعليّة هذه الأزمة التي تهدّد نسيج المجتمع.وذلك يرجع بالأساس إلى إتاحة تبئير بعض المظاهر العدوانيّة لهذا الوباء ومنع تبئير مظاهر أخرى، من ذلك مثلاً أنّ المظاهر المُبَـؤَّرَة في هذه الاستعارة تُصوِّر لنا الفيروس شخص (واحد) عدو يشنّ حربًا عالميّة على البشرية جمعاء ، في حين أنّ المظهر الذي تمّ إخفاؤه ومُنِعَ من التبئير هو كون هذا الوباء هو أعداد لا يمكن

إحصاؤها من الفيروسات القاتلة، وهذا المنع استدعته طبيعة المَقْوَلَة التي تُتيحها تلك الاستعارة.ويبقى الجانب المخفي منها مُرجأً لِتعلُّقه بالمتلقّي وما قد يصدر عنه من ردّات فعل تُنبئ بقوة الفعل الإقناعي للاستعارة.

- مقبولية الاستعارة:

بعد مرور فترة قصيرة على ظهور فيروس كورونا ، انتهنا إلى وجود فريقين من النّاس : فريق - وهم الغالبية – امتثل للتعليمات الصحّية وطبّق قواعد الوقاية والحجر المنزلي، فتمّ بذلك تفادي وقوع كارثة صحيّة كالتي حدثت في الكثير من الدول (أمريكا، إيطاليا، الصين، إيران، فرنسا...الخ).

وفريق آخر لم يحمل تلك التعليمات محمل الجد، ولم يمتثل للحجر الصحّي، وهم الأعداد المصابة بالفيروس التي يتمّ إحصاؤها يوميًا من طرف وزارة الصحّة.

1-3- الاستعارات الاتجاهية

ترتبط الاستعارات الاتجاهية بالاتّجاه الفضائي : "عال– مستفل"، "داخل–خارج" ، "أمام – وراء"، "فوق – تحت"،"عميق –سطحي"...وهي نتاج لتموضع أجسادنا وكيفية اشتغالها في المحيط الفيزيائي، مما يبنين نسقنا التصوري وفق التوجه الفضائي. وقد أشار كلّ من لايكوف وجنسون إلى هذا المعنى في قولهما: «وهذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصوّرات توجهاً فضائيًا . كما في التصور التالي : "السعادة فوق"، فكون تصوّر السعادة موجهًا إلى أعلى هو الذي يبرّر وجود تعابير من قبيل : " أُحِسُّ أَنَّنِي في القِمَّة"»[16]

***استعارة:الحياة أعلى ، الموت أسفل:**

من الاستعارات الاتّجاهية التي عرضها لايكوف وجونسون في كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها": استعارة الصحة والحياة **أعلى**، والمرض والموت **أسفل** ،وهما يريان أن المرتكزات الفيزيائية لهذا التصوّر تتجلّى في كون المرض الخطير يُجبرنا على التمدّد الفيزيائي ، وحين نموت نكون فيزيائيا في وضع تحتيّ[17].

أمّا ما نحن بصدده ، فهو معالجة **الاستعارة الاتجاهية للموت والحياة** في حالة اجتياح الوباء للأمّة قاطبة ، حينها تطال المرتكزات الفيزيائية لهذا التصور مجالات شتى (سياسية ،اجتماعية، أمنية..) ولا تنحصر في تصوّر المريض أو الميت ممدداً أرضاً .

ويمكن التمثيل لهذه الاستعارة في الخطاب الرئاسي من خلال البنية التالية: «...**فحياة كل مواطن ومواطنة فوق كل اعتبار**».

حياة المواطنين (فوق)	موت المواطنين (تحت)
+ **قوة** النسيج البشري للدولة + الحفاظ على هيبة الدولة وتعزيز مكانتها في المجتمع الدولي + **رفع** سقف الاستقرار والأمن الداخلي (18)	+ **ضعف** النسيج البشري للدولة. + **تهاوي** هيبة الدولة وتراجع مكانتها في المجتمع الدولي. + **تدهور** الوضع الأمني الداخلي.

وفيما يلي رصد لبعض الاستعارات الواردة في الخطاب الرئاسي حول تداعيات وباء كورونا المستجد:

الاستعارة	الاتجاه	دلالة الاتجاه
إن هذا التحرك المبكر ساعد على الكشف على رعينة أجنبية .. كنا من السباقين في العالم إلى إجلاء رعايانا. حتى لا يعدو هذا النوع من الوباء إلى الظهور.	التحرك (المضي قدما) = الأمام سباقين (المضي قدما بسرعة) = الأمام. العودة = الرجوع إلى الوراء	**الأمام**: تجنب وقوع المخاطر **الوراء**: وقوع الخطر
إخضاعهم لدى عودتهم ... إلى الحجر الصحي.	الإخضاع= أعلى (خ ض ع) الخضوع = أسفل	-**الأعالي**: قوة. -**الأسفل**: ضعف
ترأست اجتماعا حول تداعيات	ترأست: أعلى ونفوذ	-**الأعالي**: قوة.

انتشار هذا الوباء		- **الأسفل**: ضعف
إخفاء المواد الأساسية...	إخفاء (خلف) = وراء	-**وراء**: تخلف - **أمام**: تطور
قصد إحداث الندرة... رفع أسعارها	- الندرة = أسفل بالنسبة للمضاربين = وفرة - رفع الأسعار بالنسبة للمواطنين = ندرة	**الأسفل**: الضعف **الأعلى**: الوقة

- قوة التأثير والإقناع:

يمكن أن نستجلي الفعل الإقناعي للفئات المدروسة سالفًا من خلال قراءة مبدئيّة للجدول؛ أين كشفت الاستعارة الاتّجاهية عن دور المسار الاستعاري وأهميّته البالغة في بنينة حياتنا الفيزيائية، وتنظيم أفكارنا وتصوّراتنا، من خلال محافظتها على خصائص المسار في الاستعمال العادي ، حيث تمّ استعمال نوعين من المسارات : مسار عمودي مشتق من الاتجاه (أعلى / أسفل)، ومسار أفقي مشتق من الاتجاه (أمام / خلف).فمن جملة الاستعارات الاتجاهية التي تحمل دلالة "المُضِيّ قُدُمًا"إلى الأمام في مقابل التّراخي والتقهقر إلى الخلف ما ورد في البنية التالية:«**...إنّ هذا التحرّك المبكر ساعد على الكشف على رعية أجنبية قادمة من أوربا مصابة بهذا الوباء**» .

- مقبولية الاستعارة:

تكمن قوة الإقناع في هذا التعبير الاستعاري لدى متلقّي الخطاب (المواطن الجزائري) في الكشف عن يقظة الدولة واستعدادها لكل طارئ مما يعزّز ثقة المواطن بحكومته واطمئنانه لمساعيها ، وذلك انطلاقا من تجربته الثقافية والفيزيائية التي تُـبَلْوِرُ استعارة: الجيّد" أمام" ، والسّيّئ "خلف".

تأسيسًا على التحليل السابق وحتى نلملم خيوط الدراسة في شكل متناسق ومنسجم سنطبق مبدأ التحديد الاستعاري(*) بطرح مجموعة الأسئلة التالية:

مَن الضّحية؟ ومَن القاتل؟ ومَن المنقذ؟ وما الذي يجب فعله ؟ وكيف؟

تقود الإجابة عن هذه الأسئلة إلى صياغة "السيناريو الاستعاري"[(**)] التالي:

الضحية:الشعب

القاتل: فايروس كوفيد 19 المستجد.

المنقذ/ البطل: الدولة

المطلوب: القضاء على القاتل/ الفايروس

الطريقة : إجراءات الوقاية: (حجر صحي، ارتداء الكمامات، التوعية على نطاق واسع...) + العلاج (تجهيز المستشفيات، توفير الأدوية...).

يوفّر لنا هذا السِّينَارِيُو الاستعاري اختزالا لسانيا واستعاريا أكثر مما توفّره الاستعارة التصورية فهو أغنى منها في المحتوى وأكثر تنظيمًا[(19)]، وما يجعله ممكن الصّياغة، هو نمط الاستعارات الأنطولوجية الَّتِي تُبَنْبِنُ المقاطع السابقة؛ إذ تسمح لنا بتقديم تحليل عقلاني لتجاربنا[(20)]؛ وأعني التشخيص هنا الذي يمكن من خلاله إسناد أفعال للمجرّدات بوصفها كيانات، فتسهّل عملية إعطاء أدوار لها في سيناريو الإنقاذ، الذي يجد أساسه في استعارة "الحرب" المُمْتدَّة في كامل خطاب الرئيس عبد المجيد تبون؛ كون التصوّر المراد الإحاطة به يتعلق بالصراع، ولا أوضح من استعارة "الحرب" لبَنْيَنَتِهِ؛ لذلك نجدها هي المسؤولة عن تماسك البنيات التَّصَوُّريَّة للاستعارات التصورية الصّغرى التي تُبنين التعبيرات الاستعارية المكونة للخطاب الرئاسي محلّ الدراسة.

خاتمة:

- وقع اختيارنا على خطاب رئيس الجمهورية الذي ألقاه في ظرف خاص وهو اجتياح وباء كورونا ، وقد قادنا هذا الاختيار إلى ما لم نكن نتوقّع ، فلحدّ كتابة هذه الأسطر أي يوم2020/04/28 تبيّن لنا- بعد تحليل بعض النماذج الاستعارية- فاعلية الاستعارات التصوّرية الناظمة لتصورات رئيس الجمهورية- سواءً قالها عن وعي أو عن غير وعي – في تشكيل الرأي العام للمجتمع الجزائري، من خلال ردّ بعض الأفكار عند الفرد الجزائري وتحويل قناعاته

وتغيير تصوّراته، وإنتاج قيم جديدة .فكانت الاستعارة بحق آلية ناجعة تمّ توظيفها في الخطاب الرئاسي لشنّ الحرب على فيروس كورونا كوفيد-19 .إنّها ما به نحيا.

- اتّضح لنا بعد تتبّع الاستعارات الواردة في الخطاب الرئاسي، أنّ **الاستعارات الاتجاهية** تقتضي أنّ **مسار** الخلاص واحد: وهو الالتزام بتعليمات وزارة الصحة بحذافيرها ، وبالتالي فإنّ الانحراف عن هذا **المسار** قد يؤدّي إلى وقوع الكارثة، وهذا من شأنه أن يُحدِث حالة من الهلع لدى الأشخاص وقد شاهدنا – شخصيًا- حالة الهوس والذعر التي أصابت الكثير من الناس في متابعة كل الأخبار المتعلّقة بانتشار الفيروس وعدد المصابين والضحايا ، وأكثر المخاوف النفسية حين يتساءلون : ماذا لو أصيب شخص عزيز وفقدناه؟

-تبيّن لنا أنّ الاستعارة في الخطاب السياسي لا تكشف عن ممارسة لغوية بلاغية فحسب، وإنما تكشف كذلك عن تشكلات باطنية للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والخلفيات الفكرية التي توجّه رؤيتنا للأشياء مما يجعل منها أداة لإدراك المعرفة.

- بَدَا لنا من خلال هذا التحليل أنّ الاستعارة في الخطاب السياسي تعكس أنماط التفاعل داخل المجتمع، وهو ما يجعل من نسقنا التصوري بطبيعته استعاري. فالاستعارة تحكم نظامنا التصوّري وتجربتنا الحياتية ونظام تفكيرنا.

الهوامش:

[1] −Jurgita Kerevičiené , Glossary of Cognitive terme , Kaunas , 2009 ,p :5−4

[2] −Vyvyan Evans, A glossary of cognitive linguistics, Edinburgh University, press Ltd, Edinburgh, 2007, p :vi.

[3]- ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، الجزائر العاصمة، الجزائر، ،ص 15.

وينظر أيضا:

- George P. Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things: What Categories Reveal About the Mind, University of Chicago Press, 1987, p xi.

[4]- ينظر، جورج لايكوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر ، ط2، 2009، المغرب، ص5.

[5]- للتوسع أكثر ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص5-6 -9 .وينظر أيضا: راي جاكندوف، علم الدلالة و العرفانية، ترجمة وتقديم عبد الرزاق بالنور ، مراجعة مختار كريّم، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، دط ،2010، تونس، ص 62-79-80- 81، وعبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة،دار توباق للنشر والتوزيع، المغرب، الطبعة الأولى، 2000، ص48 -49 .

[6]- ينظر: عبد الله الحراصي ، دراسات في الاستعارة المفهومية عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان ، الإصدار الثالث ، أبريل2002م الموافق محرم 1423هـ ،ص 140 .

[7]- المرجع نفسه، ص23.

[8]- ينظر عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، دط ، 2006، المغرب ، ص13.

[9]- إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة: عماد عبد اللطيف، وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013، مصر، ص 225.

[10]- الاستعارة الممتدة extendedmetaphor: هي «ظاهرة نصية تستعمل بمقتضاها تعبيرات متعددة من المجال أو النِّطاق الأصلي [المصدر] source domain وتمتد طيلة النص». ينظر: المرجع نفسه، ص 108.

[11]- أمر الرئيس عبد المجيد تبون بمناسبة تنصيبه رئيسا للجمهورية سحب لقب الفخامة ، ليوصف رئيس الجمهورية بالسيد فقط.

[12]- من خطاب رئيس الجمهورية الذي ألقاه يوم اثلاثاء17 مارس2020.

[13]- اعتمدنا في هذا التحليل على المثال الذي اقترحه رايموند و جيبس وهو استعارة " **الغضب سائل حار بوعاء**" ANGER IS HEATED FLUID IN A CONTAINER .ينظر للمزيد من التفاصيل :

- Raymond .W, Gibbs. Jr , Metaphor Wars (conceptual Metaphor in human life), CAMBRIDGE University press, p25.

[14]- ينظر: لايكوف وجونسون ،الاستعارات التي نحيا بها، ص29.

[15]- المرجع نفسه، ص33.

[16]- المرجع نفسه، ص ن.

[17]- المرجع نفسه، ص34.

[18]- أكّد رئيس الجمهورية على ذلك في قوله:«...**واعتبار الوباء المتفشي مسألة أمن وطني**...» ينظر ملحق الخطاب الرئاسي.

[*]- التحديد الاستعاري: هو آلية قائمة على طرح مجموعة من الأسئلة تقدم الإجابة عنها سيناريو استِعَارِيًّا متكاملا للمظهر المراد فهمه؛ أي أنه يضبط، استنادا إلى الموضوع والموقف الاتصالي، حدود السِّيـنَارِيُو الملائم للمجال/ السِّيـنَارِيُو الهدف. ينظر: جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، الدار البيضاء، المغرب، ص 25.

[**]-السيناريو الاستعاري: هو بنية معرفية مرنة أضيق وأقل تعقيدا من المجالات المفهومية [التصورية]، لكنه أكثر غنى في المحتوى مثل سيناريو "المعركة" في مقابل مجال مفهومي أوسع هو "الحرب". ينظر إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 38، نقلا عن: Mosolff 2004.

19- ينظر: إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 38.

[20]- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص46-47.